ثلاث قصص قصيرة جداً

حميد المختار

(1)
نفايات

في بداية لم ينتبه أحد للأمر، فالنساء ما فتئن يخرجن رؤوسهن من ابواب البيوت بحثاً عن سيارات القمامة، وحين لم يشاهدون شيئاً يرمين النفايات في الشوارع، ولم يمض طويل وقت حتى زحفت اكوام القمامة إلى الشارع العام. فاخذ الاطفال يلعبون بها متوهمين إنها قطع ثلج، فيرمي بها بعضهم البعض. وأخذت السيارات لذلك تسير بتحويلات مؤقتة للمرور، ولم تنجح تلك الطريقة، حتى جرب بعضهم الصعود فوقها، وهكذا اصبحت النفايات تملأ شوارع المدينة محيطة بالسيارات والمحال التجارية والأرصفة المكتظة بالسابلة، وبما إن الحال أصبح هكذا، فقد عمدت النسوة إلى رمي نفايات بيوتهن أمام الابواب، وبين ليلة وأخرى، أصبحت تلالاً تنتفخ بالتدريج والاطفال يتسلقونها وكأنها العاب ودواليب هواء، ذات صباح صرخت إمرأة حينما واجهها تل صغير للقمامة أمام مدخل غرفة العائلة، ولما لم تجد مكاناً له تركته يزحف دون أن تفعل شيئاً غير ان تدور في الممرات الخلفية للبيت لتصل إلى غرفتها، وهكذا تعايش الناس معها والفوها بذبابها وهوامها وفطائسها بروائحها النتنة واكوامها التي سدت عليهم المنافذ، فقد صارت تدخل من الابواب والنوافذ والثقوب الضيقة محتلة كل شيء، بالامس سمعنا إن طفلاً دفن بها دون أن يلحقه أحد، ورجالاً ذهبوا إلى أعمالهم ولم يعودوا إلى بيوتهم ونساء غرقن واختفين في غرفهن إلى الابد، ولم يجد البحث عن نتيجة، فالنفايات دخلت في غرف منامنا لتزحف على اسرتنا وتفضح عرينا واسرارنا المنزلية الصغيرة الدافئة، الآن وفيما الناس ترتقي سطوح بيوتهم المدفونة، بقيت أنا في غرفة نومي غارقاً في النفايات حتى يافوخي أبحث عن ذكرياتي التي التهمتها وضاعت تحت ركامها الهائل بعطونته المميتة، وهناك في تلك السطوح الحاصرة ظل الناس يتأملون السماء ويبحثون بين النجوم البعيدة عن أهلة فضية مضيئة في ظلماتهم، خالية من النفايات...

(2)
القيد

منذ الصباح وقبل أن يشرب قهوته، رن جرس التلفون. كان الصباح ثقيلاً على صدره بسبب كابوس الليلة الماضية... الو نعم... ماذا..؟ جريمة قتل!! الضحية شاب وجدوه مقتولاً على ساحل البحر... إذاً هي جريمة قتل، شرب قهوته بسرعة، اللعنة، كان حلماً مرعباً، كوابيس في الليل وجرائم في الصباح، عدل من هيأته وغادر المكتب، تذكر حلم الليلة الماضية الذي قاده إلى لجج بحر غاضب في ليلة عاصفة، وجد نفسه وسط امواج البحر المسعورة وقد احاط برقبته قيد حديدي ثقيل، الطريق طويل إلى ساحل البحر، ربما كان الحلم بسبب ما اكله في وجبة العشاء، فزوجته تقول إنه اكثر من الاكل، لذلك جاءته الكوابيس، لا يدري ثمة ما يريب في الامر، فصدره ما زال مقبوضاً وهو غير مستعد لمواصلة المشوار.. حينما ابتلعته الامواج كان يرى بوضوح كائنات البحر، ظل يهبط ويهبط باستمرار، كون هائل وغريب ذلك الذي ابتلعه في جوفه، الاشياء امامه واضحة، السيارة تنتهب الطريق نهباً إلى الساحل، وهو ما زال يهبط إلى القاع دون توقف، بينما بقيت عيناه تتأملان الاعشاب المرجانية، واسراب السمك الصغير تحيط به من كل جانب، فجأة سأل زميله"
- اتعتقد إنها جريمة قتل؟ أم حادثة غرق؟
- سنرى يا سيدي حالما نصل..
من بعيد، شاهد مجموعة كبيرة من الناس احتشدت محيطة بالجثة على الساحل، ترجل من السيارة، محاولاً تحريك قدميه باتجاه المكان، بات قريباً منه، ها هو يهبط على الرمال الساكنة والحصى الناعم الذي تطاير أمام عينيه بفعل عنف السقوط والارتطام بالارض الاسفنجية، إنه القاع..
- ها هي الجثة يا سيدي، يبدو إنها جريمة قتل.
- اكشف عن وجهه..
- آه يا الهي..
كان الضابط ينظر إلى وجهه محتقناً، وجسده منتفخاً مملوءاً بالماء بينما أحاط برقبته قيد حديدي ثقيل...

(3)
مغامرة

وقف البطل في منتصف الشاشة تماماً، بينما اتكأ صديقه على رف خشبي ثبت بمستوى كتفيه وبقي الطائر الابيض المذعور لا يلوي على شيء سوى البحث عن منفذ والابتعاد عن هذا الصخب والضجيج الآتي من القاعة في الاعماق المظلمة. كان الطائر يسبح في بحر من الضوء الأسود الذي هيمن عليه وقذفه إلى اتجاهات مغلقة تقوده إلى الرف الخشبي المتحرك باستمرار وكتفي الرجل الآخر اللتين ما لبثتا تتحركان كلما هم ليحط على أحدهما، رفع البطل يده عالياً محذراً زميله في حوار ساخن يتصاعد مع تصاعد انفعال الرجلين، وكلما أراد أن يستقر اشتد الموقف واحتد وعاد الضجيج الآتي من الاعماق السحيقة ثانية مصحوباً بصفير وزعيق. كانت مستطيلات الضوء الآتية من بؤرة صغيرة تحمله على دقائقها الغبارية وتقوده ثانية إلى القماشة البيضاء الكبيرة التي توسطها الرجلان. أراد أن يحط على كتف البطل إلا إنه تحرك حركة مفاجئة أرعبت الطائر وهرع إلى الرجل الآخر لكنه ترك الغرفة خارجاً، وحالما أراد أن يستقر على الرف الخشبي حتى تغيرت الاضواء بسرعة مذهلة ولا يدري كيف وجد نفسه مقذوفاً إلى شارع عام وحديقة واسعة، اخذ الطائر هذه المرة يتحرك عكس تيار الأضواء الملونة محاولاً اختراق المستطيلات الدائرة والمتحركة طوال مكوثه في دوامته الملوثة بالظلمة التي قطعتها نصال الأضواء إرباً إرباً، كان يزحف متشبثاً بخيوط الاضواء مستميتاً للوصول إلى البؤرة ذات العين الضيقة التي تبث تلك الاضواء الحادة، لما وصلها كف الزعيق والصفير وهدأت القاعة، وما هي إلا لحظات حتى ظهر على الشاشة الواسعة طائر أسود عملاق غطى البطل وصديقه والغرفة والشارع العام والحديقة الواسعة، وارتفع الزعيق والصفير ثانية ولكن هذه المرة بشكل أعلى وأعلى.........

(السيناريوهات) المتباينة للعولمة الثقافية

عرض: جودت جالي

ضم العدد 283 من المجلة الفرنسية ايسبري ملفاً غنياً تحت عنوان "عن أية ثقافة ندافع؟" جاء في ثلاثة محاور لكل منها مقدمة. المحور الأول "الإنقسام الثقافي" يقع في سبعة بحوث، والمحور الثاني "ازدواجية الثقافة الجماهيرية" في اثني عشر بحثاً، والمحور الثالث "العولمة والثقافة" وهو موضوع عرضنا يقع في أربعة بحوث مع ثبت

الملف يلخص المواقف الثقافية العالمية في بداية الألفية الثالثة والتي تمتد بجذورها على مساحة القرن العشرين كله وإستعراض مواده بحاجة إلى وقفة ومساحة أكبر مما يتيسر لنا هنا ولذلك سنكتفي بعرض المحور الثالث.

لو أخذنا بالخطاب الذي يطرح نفسه منذ بضع سنوات فإن كل الظواهر الإجتماعية تتعولم يعني تتخذ بعداً ومعنى على المستوى العالمي: الديانات والأيديولوجيات والحروب والعنف والفن والأدب. كل المجتمعات تتعولم، تتكامل ضمن عالم يمتاز بانضغاط (الفضاء / الزمن) الكوكبي وهي ظاهرة لا سابق لها في الأهمية منذ الإكتشافات الكبرى. لكن التعولم بعيد عن أن يختصر نفسه في مواجهة بين أمريكا وباقي العالم أو بين العالم وما يسمى بالحركة الجهادية، والثقافي من هذه العولمة بعيد عن إمكانية إيجازه في تصدير كوكبي للثقافة الشعبية الأمريكية برعاية هوليود أو (ديزني لاند). إنها تنطوي على سيرورة لا نهائية الأبعاد والتدفق، حركة مواجهات آيديولوجية وسجالات بين المفكرين حول المشاكل الداخلية والخارجية لمختلف المجتمعات البشرية وللمجالات الثقافية العظمى يمكن بهذا الخصوص قراءة بحث (الثقافات غير الأوروبية إزاء الثقافية الجماهيرية - جيرار ليكليرك) وفيه يتطرق إلى الأصوليات الهندسية والإسلامية.

هدف هذا الجزء من الملف ليس مجرد النظر في دوائر إختصاص العولمة الثقافية التي لا إنفصام بينها مثل الأنترنيت والداخل على صعيد الأتصال والاعلام.

في عدد سابق لهذا العدد نشر بحث عن كتاب مارسيل هيناف (ثمن الحقيقة) وهو تأمل في مسألة تسويق المنافع الثقافية التي لا تعتبر بضائع، ومن هذه الناحية هو إهتمام عولمي بامتياز لكن الملف يهتم بشكل مباشر بتقييم السيناريوهات المختلفة المحتملة التي

إنطباعاً بأن أحدها سيتغلب بالضرورة على الأخر.

قبل كل شيء يسجل دور تداول الأدب الخيالي المعولم (مقال بول غاريون عن أدب الفتيان -مثل سلسلة روايات هاري بوتر وغيرها) وليس فقط النتاجات المختلفة للصناعات الثقافية والمشاريع التسلطية في ميدان السمعية والبصرية. هل يجب فوراً تأويل التداول المتسارع بوصفه دعامة لأمبريالية ثقافية تسوي تضاريس الثقافات وتدفع المستهلكين إلى السأم؟ المجلة تشكك في هذا. ما يهمها أكثر هو تقييم ممارسات الإنحراف والتعدي على ثقافات الغير (حالات مشابهة تنشط في المجتمعات الغربية) في مختلف أنحاء العالم حيث الأنعكاسات وإعادة إمتلاك العطاء. يكتب (بوربالان) بصدد الأمبراطورية الأمريكية الثقافية قائلاً: "التصور الأكثر شيوعاً عن الأفلام الهوليودية

على التخلص من المأزق بمفرده، هو نموذج خرافي لا ينطبق على الحقائق الإجتماعية والثقافية الحقيقية في الولايات المتحدة. هذا النموذج الذي وقع عليه التفضيل في الأستفتاء من قبل أغلبية المجتمعات يترجم أمركة للعالم أكثر من ترجمته لعولمة أمريكا" (مقال هل تهمين الولايات المتحدة على العالم؟ -مجلة العلوم الإنسانية آذار 2002).

في الوقت نفسه هل لا بد من الاعتقاد بأن الثقافة التسلطية تفرز بالمقابل ردفعل هوياتي ((محلي))؟ يظهر (ليكليرك) هنا أن الخيالي الثقافي المعولم لا يمكن فصله حتى عن إنبثاقات وإعادة إنبثاقات ثقافية لا تفسر على إنها عودة إلى خلفية تاريخية (إذ تصبح التضاريس في خطر التسوية) هذا لا يعني أن التداول الثقافي لن يكون غير متساو كما هي الحال مع الفن الأوروبي في التبادل عبر

بين الأعمال الفنية والنتاجات السمعية البصرية.

العولمة الثقافية ترسم أيضاً ظاهرة أخرى من تجارب الأتصال بين الثقافات في سياق ما يدعى ما بعد الكولونالية (أنظر مقال أوليفيه مونجان) وهذا المفهوم يرسم جانباً تأريخياً حيث الكلي (فكرياً) والعالمي (جغرافياً) لم يعد تحت تصرف السلطة الكولونالية بل أصبح تجربة يجري تقاسمها وهذا يدخلنا في البعد المزدوج للممارسات الثقافية وخلق الأعمال الإبداعية.

إن كانت الروابط دائمة التكيف في أحضان كل ثقافة بين الأعلى والأدنى فإن الصلات تتكيف بالمثل بين المراكز الثقافية ومحيطاتها والوشكة على التغير في أيامنا. بهذا لن تكون الثقافة موجة لغوية (إسبرانتو) كوزموبوليتيه، إنها تعاود الإنتشار في شركة تجارب تأريخية حيث كل واحدة من الثقافات تصرف نصيبها العادل من العالمية (النصيب الذي يجعل من الممكن تصور العلاقة ومقدار إزاحة المركز بأتجاه المركز الأخر والنظرة النقدية المناسبة) هذا هو الماء الذي يسقي كل ثقافة.

المواجهة لا تعني بالضرورة خسارة الماهية، تهجين ينقص من قيمة الهوية نسبية معممة، لكن المواجهة تعني التمرين المتبادل على عالمية واعدة.

هل البلاد التي كانت بالأمس مركزاً لن تعاني من عجز تأريخي في حين إن الأنحاء الأخرى من العالم تلك التي كانت مستعمرة بالأمس تعود بفتح مظفر وبحظ من السعادة إلى تأريخيتها مرة أخرى؟ الممارسات الثقافية في محور العولمة منظور إليها من خلال موشور الأنثروبولوجيا، وواضح ان العمل الثقافي، حسب نص المجلة، والذي يولد من الأتصال يمتلك بعداً جوهرياً أنثروبولوجياً.

المندائية
تصوف الزمن وأبتعاده عن النقطة الحرجة

نعيم عبد مهلهل

يقول المنداني الأول: إنه لا يترك نفسه وحدها، كي لا تضيع في متاهة الوقت. هذا تعبير متصوف في بلاغته ومعناه، وأزلية هذا الفهم الروحاني أرتبطت بأزلية هذا الكاهن، لحظة أشتغاله بالتفكير بماهية الوجود، من خلال تأمل الأعالي، ولا يقصد هنا جبل شاهق أو زقورة بمائة سلمة، إن الأعالي كما تقول الكتب السماوية: هي القدير حيث يطل على أفعالنا كلها. ولهذا أكتملت في ذاكرة ذلك العمد من خطابات (يحايا) النوايا الحقيقية للشعور بما يمثله المدرك لنا جميعاً: إنه الفضاء المرهون بحركة النجم والروح معاً، ويقول المنداني إنه: يرتدي الرستة، ليطهر ببياضها روحه وجسده وأزمنته الماضية كلها.

لهذا الزمن المنداني هو الزمن القائم على الوجود الذي لا نهاية إلى رؤاه، إنه تصوف مفتوح إلى ما لا نهاية، وفي الأساطير التي دونها القدماء (بآرامية وسريانية ومندائية واضحة) ثمة عودة رصينة إلى الذين كان لهم شرف أن يزرعوا التأمل في قلب الألواح، وهم يقولون إن لهم مع ابراهيم (ع) نسباً من حيث الزمان والمكان واللغة التي أراد بها النبي الكريم أن يعبر بها عن الجديد الذي سكن به بهداية من الله، فيقول: إن إبراهيم (ع) ترتبط به بحواس المكان والزمن. المكان: إن النبي الحنفي، ولد في أور وهي (كوثا) عند المندائيين. وهي مناطق مائية حيث الاهوار والفرات وهي المغتسلات الأبدية للطائفة.

وطريقة النحر عند النبي (ع) في اتمام نذوره تشبه في الوصف تماماً طريقة النحر عند المندائيين، ويكفي مشاهدات الطقوس النذرية في ذبح الطائر والكبش ليثبت ذلك. وجهة النبي في رحلته الأزلية كانت الشمال وهي قبلة المندائيين في صلاتهم، وأول محطات رحلته كانت مدينة (حران) وهذه المدينة ترتبط بالوجود المنداني تأريخياً. وزمنياً فإن الخليل (ع) يعود في نسبه إلى سام وحام ولدي نوح وهما من أجداد المندائيين. لهذا تحرص هذه الطائفة أن تلف الزمان والمكان على خاصرتها وتعيش به في عزلة اللذة حتى لا يصيبها ما أصاب العصور من متغيرات تجعلها عرضة لسيوف القرامطة والمغول والقاجار وغيرهم. يقول أحد كهنة الطيب (وهي حد فاصل بين العراق وايران) وكان الماء ينساح اليها من كلالات السيول المنجرفة من مرتفعات دهلران، وكان صابئة الطيب يتعاملون في ذلك الوقت بود عال مع الواليين، الفارسي في أقليم الأحواز، والتركي في أقليم البصرة والتي كانت العمارة حيث تقع الطيب ضمن مسؤولياته. يقول: إننا حفظنا عهدنا مع السماء بأحترامنا للوجود الكوني لأي ملة. نحن نحمد الله وهم يفعلون ذلك، ولهذا كان الطرفان يتركان لنا أزمنتنا دون أن يرغماننا على معصيتها.

في ذلك تكمن قدرة المنداني أن يجعل من دينه زمناً لكل لحظة وهو بذلك يخلق للحظته تصوفاً مرئياً وحسياً، وعندما تحين لحظة الوجد تقوم قيامته فيرتدي الرستة ويذهب إلى الماء ليغسل البدن والروح معاً وبهذا يكون زهرون قد وصل إلى بيت الحلم ومنح قدرة أن يكون الراعي لكل جسد منداني يطير في فضاءات الزمن.

في هذه الصلاة المندائية والتي تقول: (مبارك أسمك ومسبح أسمك مولاي، منداد هي. حمداً السماء الجلال الأعظم الذي قام من ذاته) لكي نفسر ما أورده النص هنا، علينا أن نقيم محفل المودة داخل اللحظة، يقول عنها المنداني: إنه الذهن إذ يتوقد في محراب الجسد في أزمنة لا يتحدث فيها اللسان إلا عن الحمد الكبير للذي يعلو قامتنا ويرينا كيف يدور اليوم وكيف تصير الروح طليعة له كما عنق الحمامة لسكين الكاهن وكما المنجل الأنيق وهو يحز ساق الآس تبركاً لطقس سيقام الليلة عند أكتمال قمرية الماء وعندما تأذن السماء لنا بتأمل أيامنا ومن لديه معصية عليه أن يغسلها بماء جار ويتصدق لفقراء المندائيين بذكر بط أو بكبش ورز أو حتى بصلاة من أجل راحتهم الدنيوية والأخرى التي كما يقول المنداني نجلس فيها أمام النور الإلهي ليصفي حسابه معنا.

هذه الصلاة تظهر السماء الخفية للروح وهي إحدى أوصاف (الرشامة) وتعني في المندائية الوضوء الأول: وهي في همها الزمني تعني استعداد الجسد ليكون ملكاً لما يحدث أي كانت شكل الموقيعة لديه، فلقد حصن المنداني صلاته بالحمد، وهو كما يقول أحد متصوفة بغداد: من يحمد يتجدد، ومن يطيل الحمد ينسى علة الجسد، والصلاة هنا لا تفتعل الحاجة ولا تود الأتيان بما هو بعيد إنها تعيش لحظتها ويقال إن الصلاة عند المنداني هي تقريب اللحظة إلى القلب وتخليص الروح من اللحظات الحرجة وبهذا يفكر المنداني بأن يكون له في العلا البعيدة بيت أهم ما يحويه نبع يجري من باحته ويأم فيه قيلولة الشجر والتمتع بلحظة أمتهان الحرفة الصعبة والعزلة والأثيرة، وبهذا يكون التهيؤ للوضوء هو التهيؤ للسير صوب التوحد في زمنيته ومكانه ودوره المميز في حياة كل مؤمن بالذات العليا التي تبسط رحمتها علينا. مثل كل الديانات المندائية إنها وريثة عهد من عهود الإيمان، ولأن اللوح كان يعتني بأيمانه الأسطوري، فقد نسي الإنسان الأول أن يسمي المسميات لديانات الأمس ومذاهبها بأسمائها، ولكن العهد القديم فعل ذلك، وكذلك أشارت صحائف موسى والأناجيل، وهناك حوليات في التأريخ رمزت لبعض المعتقدات ومنها ما ذكرته حوليات آشور وفيها مدونات (حجر يونس)، وطالما حرص الأثاريون وعلماء الثيولوجيا والدارسون لحركة التأريخ ومتخصصو الأديان، أن يجدوا رابطة بين خواطر التدوين الأول، والمعتقد القديم الذي يقول المندائيون إنه أرتبط بالشجن الإبراهيمي الأول وربما قبله مع أحفاده نوح وأبنائه، وإنهم في توارثهم للطقوس الإيمانية التي تتشابه مع عهود ذلك الزمان يمتلكون الحق بهذه الأزلية غير إن اللوح غفل أن يذكر هذا، وحتى حين تتشابه الإشارة إلى نفس الطرح الكهنوتي للمفكر والروحاني المنداني فأن الأمر يكاد يكون غامضاً وخفياً. والسبب، إن رؤى الشرك كانت طاغية على الفكر القديم، وإن الملوك كانوا لا يلتفتون إلى أقلية تنأى بعبادتها في عمق هور أو غار منعزل لأن مشهد الآلهة العظيمة التي صنعها التفكير الأسطوري من المخيلة الجنوبية لإنسان الرافدين كانت مهيمنة على كل الشرائع والأدبيات ومفاصل الحياة. ولكن حين نوصل المقارنات بطقوس اليوم وأرث الكتب المدونة في أزمنة مقاربة لأزمنة الرؤى الأسطورية نجد التشابهات الكثيرة في أنماط الوعي والحياة على مستوى التطبيق والمعتقد، يكون المعتقد أوضح جدليته، وأرانا أن ديمومته حق، هذا الحق أخضع عاشت مع التنجيم بأزلية الخليقة أنى وقعت. وحين تجلس على ركبتيك، هكذا يفضلك الكاهن المنداني أن تكون أمامه سيحدثك بحسابات لا تقبل مدولات الطرح والجمع، إن الأمر بالنسبة له محسوم بفواصل آتية من وقائع زمن عاش فيه أجداد أجداده، وحين يتحدث كهنتهم، تكاد أن تسمع صوت الحديث، أن الأمر يكاد يكون مجرد همس مع النفس وبرغم هذا ستفقهم ما الذي يعنيه بالضبط وستدرك إن الأزمنة السحيقة بالنسبة للمندائيين عاشت مع صوفيتها رغم حراجة ما يحدث في الأماكن التي كانوا يتواجدون فيها، وأغلبها مناطق مشتعلة، فهم سكنوا ابطائح كانت حداً فاصلاً بين سومر وعيلام، وكانت البطائح ساحة دم بين القرامطة والعباسيين وبين الزنج والعباسيين أيضاً ورغم هذه هم تعاملوا مع الصراعات ببرود النأي، فلم تسمع لهم في التأريخ العراقي شجار أعلى مستوى حرب، بينما كان للأعراق والمذاهب الأخرى مثل ذلك. لقد أبقوا في ذلك تفكير أزلياً لتوحيدهم، ويربطوه بأرادات ملائكة يتصورنهم موجدين، فمثلاً يقول شخص منداني (يولفه) وتعني هذه المفردة: صابئياً مثقفاً ثقافة كهنوتية دينية بلا درجة كهنوتية. يقول: إن المرء الذي يقول: إن الله واقع تحت سيطرة ملك الظلام بصورة مطلقة. من الخطر مجالسة ومصاحبة هذا الشخص. إذن هم مثل بقية الأيام ينزهون القدير عن كل ميل أو أنحراف. وبذلك يضعون أزلية التوحيد مع أزلية الخليقة مع أشراكات موروثة يعتبرونها في أغلب الحالات عوامل مساعدة لفهم الوجود الحي. كما فعل متصوفة العصور العباسية، فأختلط الفهم الروحي وصار عائقاً على المتصوف أن يجهر بأيمانه هذا لأن الدين وفقهه أعتبر الأمر زندقة وكان أن دفع الكثير من المتصوفة أرواحهم وصلبوا وما تعرض له منصور الحلاج يكاد أن يكون أشهرها.

كانت المندائية ولا زالت قنوعة بأقليتها وعزلتها الكونية، وهي بهذا الكتمان لا تحصي الزمن بطريقة معلنة. إنها تخشى الأحراجات كثيراً وترقب الحدث من نافذة الروح، وفيها فطرة عجيبة لإطاعة ولي الأمر أياً كان شكله. إنها لم تتمرد ذات يوم وتتعامل مع الزمن وحاكمه بطريقة مهذبة، وبالتالي يذهب الحاكم وتبقى هي، ولكنها في هموم الفعل الأجتماعي تراها سباقة في الإبداع وقائمة علماء الصابئة في التأريخ الحضاري العربي تشهد إلى ذلك خاصة عندما أطمأنوا إلى عدل الإسلام وسماحته، وفي التأريخ المعاصر لعبوا الدور نفسه. ولا زالت الذاكرة العلمية تضع عالمهم الفلكي الدكتور عبد الجبار عبد الله في المقدمة.

وفي شباط عام 2002 قام أتحاد الفلكيين ومقره واشنطن بتكريم عالم الفضاء العراقي (المنداني) الدكتور عبد العظيم السبتي، والأستاذ في جامعة لندن بأطلاق أسمه على أحد الكواكب (Asteroids) تثميناً لإنجازاته العلمية المهمة. وهكذا تطلق المندائية حواسها الهادئة في صدى الأزمنة أياً كان بعدها وحجمها. وهي كمن يعبث في قيثارة الزمن تبحث عن جديد الروح في مستويات من التقابلات المقنعة والهادئة وكأنها تنام على كتف الأغنية المندائية القائلة:

(إن بيت الكاهن وبيت الحمامة وبيت القمر.... هم شكل واحد للرؤيا)